

أحاديث رمضان ١٤٢٣ هـ - أحاديث قفسية - الدرس (٣١٠٩): المحبوبية في الإسلام، إذا أحب

الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً.

لضييلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٤-١١-٢٠٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

آية دعوة إلى الله تتجاهل الحب هي دعوة عرجاء :

أيها الأخوة الكرام، الدعوة إلى الله تنجح نجاحاً باهراً حينما تراعي في الإنسان جانبه العقلي والنفسي والمادي، فكما أن الإنسان عقل يدرك هو قلب يحب، والعقل غذاؤه العلم، والقلب غذاؤه الحب، فآية دعوة إلى الله تتجاهل الحب هي دعوة عرجاء، ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

[سورة المائدة: ٥٤]

استتبط العلماء أن الذي يحب الله والذي يحبه الله لا يمكن أن يرتد، فحينما يكون الدين عقلياً فكريأً نصياً ضمن حب هناك نكسات كثيرة، أما حينما يكون الدين علمًا متيناً وأدلة قوية وجهاً والتزاماً - هذه خطوط ثلاثة معرفة وحب وسلوك - فهناك التفوق، وآيات كثيرة تتحدث عن الحب، الحديث القدسي اليوم:

((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبَبَهُ فِيْهِ جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبَبَهُ فِيْهِ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقُبُولُ فِي الْأَرْضِ))

[البخاري عن أبي هريرة]

القرآن الكريم والسنّة النبوية توجها إلى العقل والقلب معاً :

ما من نعمة في الدنيا إلا ولها آثارها في الآخرة، لأن يحبك الناس، لأن الله إذا أحبك ألقى محبتك في قلوب الخلق، وأكاد أقول: الأنبياء بكمالهم ملوك القلوب، والأقوباء بقوتهم ملوك الرقاب، والبشر جميعاً أتباع نبي أو قوي، فالذين هم أتباع النبي سلامهم الكمال الإنساني، بكمالهم يملكون القلوب، والذين هم أتباع القوي سلامهم ما منحوا من قوة، فبقوتهم يملكون الرقاب، وشتان بين من يملك القلوب وبين من يملك الرقاب.

على كل القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة توجهت تارة إلى العقل لتفقهه، وتارة إلى القلب لتغذيه، وفي بعض الآيات الكريمة تتوجه الآية إلى القلب والقلب معاً:

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمَ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَكَ)

[سورة الانفطار: ٧-٦]

الحب هو علة الخلق :

أيها الأخوة الكرام: جانب الحب هو علة الخلق، لو أن الله أراد أن يخضع له البشر جميعاً لكان ذلك، ولكن هذا الخضوع قسري لا يثير سعادة.

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَمَنِ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا)

[سورة يونس: ٩٩]

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً)

[سورة هود: ١١٨]

الله جل جلاله ما أرادنا أن نأتيه قسراً، أراد أن نأتيه طوعاً، إذا أتيته قسراً لا قيمة لهذا الإتيان، لأن الله عز وجل يقول:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

[سورة البقرة: ٢٥٦]

فجانب الحب جانبأساسي، الفرق بين الحب وبين الواجب كالفرق بين أرحنا بها وأرحننا منها، هذا هو الفرق بين الحب والواجب، فأنت حينما تحب الله تفعل المستحب، أصحاب النبي أحبوا الله، قلة قليلة بحياة خشنة، بمعدات بسيطة، وبيوت من اللبن وصغيرة وخشنة، فتحوا أطراف الدنيا، وحينما فرغ الدين من الحب أصبح ثقافة وتقاليد وعادات وأصبح سلوكاً أجوفاً وعبادات لا تقدم ولا تؤخر، بين مؤمن مفعم قلبه بالحب، وبين مؤمن ممتلىء قلبه بالمعلومات فرق كبير جداً، لابد من أن يمتلىء العقل بالمعلومات، ولا بد من أن يمتلىء القلب بالحب، فهذه المرأة الانصارية التي رأت زوجها في أرض المعركة شهيداً ورأت أباها في أرض المعركة شهيداً، ثم رأت ابنها ثم أخاه وفي كل مرة تقول: ما فعل رسول الله؟ فلما رأته واطمأن قلبها قالت: يا رسول الله كل مصيبة بعدك جلل.

الحب يصنع المعجزات و التقليد لا يصنع شيئاً :

أخواننا الكرام: الحب يصنع المعجزات، ومن دون حب لا يمكن أن تقدم شيئاً لله، مستمع جيد، ومعلق جيد، لكن لا تقدم شيئاً، كل إنسان حينما يستمع إلى كلام منطقي مؤيد بالأدلة والبراهين يعجب بهذا الكلام، لكن العبرة ماذا قدمت الله عز وجل؟ لو سألك الله يوم القيمة ماذا فعلت من أجلي يا عبدي؟ هذا سؤال، الحب يصنع المعجزات، بينما التقليد لا يصنع شيئاً.

((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانَا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانَا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ الْقُبُولُ فِي الْأَرْضِ))

[البخاري عن أبي هريرة]

انظر إلى الطفل قال تعالى:

(وَلَقِيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مُّنِيْ)

[سورة طه: ٣٩]

أي ألقى في قلب أبيه الحب له، تجد الأبوين لا يهنا لهما عيش إلا إذا كان ابنهما على ما يرام، فهذه الرحمة التي يتراحم بها الناس، والتي يعقبها ميل قلبي هو الحب، وأقول لكم هذه الكلمة: الإنسان الذي لا يجد رغبة في نفسه أن يكون محباً عند الله وعند خلقه، ثم لا يجد رغبة أن يحب الله جل جلاله، فإنه ليس منبني البشر! البطولات التي ظهرت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أساسها الحب، قيل لأحد أصحاب رسول الله قبل أن يصلب -ألفي القبض عليه وسيق إلى مكة - قبل أن يصلب قال له أبو سفيان: أتحب أن يكون محمد مكانك وأنت معافي في بيتك؟ استمعوا إلى الجواب قال: والله لا أحب أن أكون في أهلي ولدي وعندي عافية الدنيا ونعمتها ويصاب رسول الله بشوكه! فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً يحب أحداً ك أصحاب محمد يحبونه!

أكبر نجاح في الحياة أن يحبك الله :

أخوتنا الكرام، نحن في أمس الحاجة إلى الحب، أن نحب بعضنا، ونقدم لبعضنا كل شيء، ونؤثر بعضنا على كل شيء، هناك رواية ثانية:

((إِذَا أَحَبَ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانَا فَأَحْبِبْهُ فِيْحِبْهُ جِبْرِيلُ فِيْنَادِي جِبْرِيلُ فِيْ أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانَا فَأَحْبِبْهُ فِيْحِبْهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ))

[البخاري عن أبي هريرة]

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَاهُ جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنَّمَا أَحِبُّ فَلَانَا فَأَحْبِبْهُ فِيْحِبْهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانَا فَأَحْبِبْهُ فِيْحِبْهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَاهُ جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنَّمَا أَبْغَضُ فَلَانَا فَأَبْغَضْهُ قَالَ فَيُبَغْضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبَغْضُ فَلَانَا فَأَبْغَضْهُ قَالَ فَيُبَغْضُونَهُ ثُمَّ تُوْضَعُ لَهُ الْبَعْضَاءُ فِي الْأَرْضِ))

[مسلم عن أبي هريرة]

أنت حينما تمشي في رضوان الله يحبك الله، ويحبك جبريل، ويحبك أهل السماء، وتلقى القبول في الأرض، وحينما يمشي الإنسان في سخط الله يبغضه الله، ويبغضه جبريل، ويبغضه أهل السماء وأهل الأرض، أكبر نجاح في الحياة أن يحبك الله.

مرة سمعت كلمة من أخ كريم يروي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدهنا معاذ قال ((عَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلَ قَالَ: أَحَدُ بَيْدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعاذُ فَقُلْتُ وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.....))

[النسائي عن معاذ بن جبل]

والله ما رأيت في الأرض مرتبة تعلو هذه المرتبة! أن يحبك رسول الله، كيف يحبك؟ إذا كنت مستقيماً، الأقواء يقربون من يعلن لهم الولاء، لكن الأنبياء بمحى من الله عز وجل لا يقربون إلا من كان راضياً الله عز وجل، لذلك قيل: "يا رسول الله مثل بهم؟ قال: والله لا أمثل بهم فيمثل الله بي ولو كنتنبياً".

من لم يحقق قلبه بحب الله ورسوله ففي إيمانه خلل :

هناك حديث آخر:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا أَحَبَّ اللَّهَ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِلَيْيَ قُدْ أَحْبَبْتُ فُلَانًا فَاحِبَّهُ قَالَ فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزَلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدُّا) وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهَ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِلَيْيَ أَبْعَضْتُ فُلَانًا فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزَلُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ))

[الترمذني عن أبي هريرة]

إن كنت على علاقة طيبة مع الله فمن لوازم هذه العلاقة أن الناس يحبونك، وقد ورد أنه: من أخلص الله تعالى جعل قلوب المؤمنين تهفو إليه بالمودة والرحمة. فلذلك إن لم يحقق قلبك بحب الله ورسوله، وحب المسجد، والقرآن، وأخواتك المؤمنين، ففي الإيمان خلل.

قديماً الذي يقف أمام مقام النبي عليه الصلاة والسلام ولا يبكي يقال له: مالك؟ لكنك تجد أحياناً من يبكي أمام مقام النبي الآن يسأل: أبك حاجة؟ الأصل أن تبكي أمام قبر النبي وأن تحبه. أخوتنا الكرام: أرأيتم إلى وردة مصنوعة من الشمع، ثم وردة طبيعية فواحة الرائحة؟ بين وردة طبيعية فواحة الرائحة وبين وردة اصطناعية مملة كما بين مسلم يحب الله ومسلم لا يحب الله أو قلبه خاو من المحبة، الإسلام من دون حب جسد من دون روح -جثة - فلذلك تجد قلوب المسلمين قاسية من بعدهم عن الله، وانغماسهم في المخالفات، فهو مسلم بحسب هوبيته، وقيد نفوسه، وببيته، ومن أبويه المسلمين، ولكن المسلم الذي يغلي قلبه كالمرجل هذا نفقده، فالحياة أساسها الحب. النبي عليه الصلاة والسلام كان أحب الخلق إلى الله، وأقسم الله بعمره الثمين، وحينما تشعر أن الله يحبك فأنت في الأوج، ملك في الدنيا، فإذا أحبك الله أحبك الخلق، وإذا أبغض الله عبداً أبغضه الخلق.

والحمد لله رب العالمين